﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٠﴾ [محمّد ﷺ: 30]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

إخراج الضّغائن متبوعٌ بتأكيد تحقُّقِه

لمّا أخبر النّظم الجليل في الآية السّابقة بأنّه مُخْرِجٌ أضغانَ الذين في قلوبهم مرضٌ، أتبَعَه في هذه الآية بتأكيد مفهوم الكلام السّالف، وأنّه تعالى سيُظهِر تلك الضّغائن حتّى يُعرف أصحابُها[1].

ومنها: أنّه لمّا ذكر في الآية السّابقة أنّهم يبالغون بكِتمان ما في قلوبهم من الضّغائن، وبيّن أنّهم ظنّوا أنّ أحدًا لا يعلم بذلك؛ أتبعه في هذه الآية بما يُظهِر خيبةَ ظنونِهم، بأنّه سَيَكْشِفُ ما يسترونه ويبالغون بإخفائه[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِسِيمَٰهُمۡۚ﴾: (وسم) أصلٌ يدلّ على أثَرٍ ومَعْلَم[3]، والوَسْمُ: التّأثير، والسِّمَةُ: الأثرُ. يقال: وسَمتُ الشّيءَ وسْمًا، إذا أثَّرْتَ فيه بِسِمَةٍ، وفلانٌ مَوْسومٌ بالخير والشّرّ، أي: عليه علامتُه. وتوسَّمتُ فيه الخَيْرَ والشَّرّ، أي: رأيت فيه أثَرًا[4]. واتَّسَمَ الرّجلُ، إذا جَعَلَ لِنَفْسه سِمَةً يُعْرَف بها[5]، قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح: 29]، وقال: ﴿تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾ [البقرة: 273][6]. والمراد به في الآية الكريمة العلامة، وهي السّيمياء[7].

---

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 26/ 71.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 252.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وسم).
(4) الخليل، العين: (وسم).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (وسم).
(6) الرّاغب، المفردات: (وسم).
(7) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 5/ 15.

2) ﴿لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾: (لحن) أصلٌ يدلّ على إمالة شيء من جهته[1]. واللَّحْنُ: صرفُ الكلام عن سَنَنه الجاري عليه، إمّا بإزالة الإعراب، أو التّصحيف، وإمّا بإزالته عن التّصريح وصرفه بمعناه إلى تعريض وفحوى، وهو محمود عند أكثر الأدباء من حيثُ البلاغةُ[2]. واللّحن: ما تلحن إليه بلسانك، أي: تميل إليه بقولك، ومنه قولُه ﷺ: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾. والمراد به في الآية الكريمة: مَقْصِد الكلام وطريقته[3]، وهو "الكلام المُحالُ به إلى غير ظاهره؛ ليَفْطَنَ له مَن يُراد أن يفهمَه دون أن يفهمَه غيرُهُ"[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الوعد بكشف سرائر المنافقين

في هذه الآية تسليةٌ من الله لرسوله ﷺ بقوله: لو نشاء - أيّها الرّسول الكريم - لعرّفناك أشخاصَهم، فَعَرفتَهُم بأعيانهم بعلاماتٍ غالبة عليهم تكشفُهم عمّن سواهم؛ لكنّنا لم نشأ ذلك؛ سَترًا عليهم وحرصًا على ألّا يُؤذى ذَوو قرابتِهم من المُخلِصين، ولكنّك ستعرفُهم من كلامهم الدّالِّ على سرائرهم، والله تعالى عالِمٌ بأحوال عباده جميعًا، لا يَخفى عليه من أعمالهم شيءٌ من الطّاعات والمعاصي، وهو سيجازيهم بما يستحِقّون[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الواو في قوله: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ﴾:

مبالغة المنافقين في سَترِ غيظِهم، لا تـحـول عـن كشفه وإظهاره

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالواو في قوله: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ﴾؛ لتَعدُّد المراد بها، ويجوز أن تكون للعطف؛ وذلك بعطف قوله جلّ شأنه:

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لحن).
(2) الرّاغب، المفردات: (لحن).
(3) ابن جزي، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 2/ 284.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 122.
(5) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 26/ 71، وجماعة من العلماء، التّفسير الميسر: 1/ 510.

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ﴾، على قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ٢٩﴾ [محمد ﷺ: 29]، ويكون غرضُ ذلك الدّلالةَ على أنّ ما يبالغون في سَترِه وإخفائه سيَكْشِفُه الله تعالى ويُخْرِجُه للنّاس[1]. ويجوز أن تكون استئنافيّةً[2]، "كأنّ قائلًا قال: فلِمَ لم يَظهر؟ فقال: أخَّرْناه لمَحضِ المشيئة، لا لخَوْفٍ منهم"[3].

دلالة التّعبير بـ (لو):

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بـ (لو) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ﴾؛ وذلك لأنّ (لو) تُستعمَل لِما كان سيقع لو وقع غيرُه[4]، فهي حرفُ امتناع لامتناع، فامتنع العلمُ بعلاماتهم، لانتفاء مشيئته تعالى ذلك.

امتناعُ العلمِ بعلاماتِ المنافقين؛ لانتفاء مشيئته تعالى ذلك

الغرض من التّعبير بأسلوب الشّرط:

عبّر النّظمُ الجليل بأسلوب الشّرط في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ﴾؛ لأنّ أسلوب الشّرطِ دلّ على أنّ معرفتهم بعلاماتهم متوقّفٌ على مشيئة الله تعالى، فلا شيءَ يقع إلّا بإذنه ﷻ.

معرفة رسول الله للمنافقين بسيماهم موقوفٌ على مشيئته سبحانه

سرّ التّعبير بالمشيئة دونَ الإرادة:

آثَر النّظمُ القرآنيّ التّعبير بالمشيئة في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ﴾؛ لأنّ المشيئة من الله تقتضي وجودَ الشّيء، ولذلك رويَ: «ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن»[5]؛ بخلاف الإرادة منه سبحانه؛ فهي لا تقتضي وجودَ المراد لا محالة؛ ألا ترى قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ

ما شاءه الله كائن لا محالة، وأمّا الإرادة فلا تقتضي وجودَ المرادِ لا محالة

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 252، ومحمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 13/ 233.
(2) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 108.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 59.
(4) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 108.
(5) رواه أبو داود في سننه، برقم: (5075).

﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، ومعلوم أنّه قد يحصل العسرُ بين النّاس. ومن الفرق بينهما: أنّ إرادة الإنسان قد تحصل من غير أن تتقدّمها إرادةُ الله؛ فإنّ الإنسان قد يريد ألّا يموت، ويأبى الله ذلك؛ بخلاف مشيئة الإنسان فإنّها لا تكون إلّا بعد مشيئته سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التّكوير: 29]. ولمّا كانت الأمور كلُّها موقوفةً على مشيئته تعالى، ومنها إراءةُ المنافقين بسيماهم لرسول الله ﷺ؛ عبّر بالمشيئة دونَ الإرادة[1].

دلالة التّعبير بالفعل ﴿نَشَآءُ﴾ مضارعًا بصيغة التّعظيم:

عبّر النّظمُ الجليل بالفعل ﴿نَشَآءُ﴾ بصيغة التّعظيم في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ دون أن يقول: (ولو شئتُ)؛ وذلك لإظهار العناية بمضمون الخطاب[2]، أي: إنْ شئْنا بما لنا من العَظَمة، وهذا يُفيد أنّ تلك الرّؤيةَ ستكون محقّقةً لو تحققّت المشيئة. وممّا يُذْكَر في دلالة التّعبير بالمضارع ﴿نَشَآءُ﴾ مع أنّ الأصل التّعبيرُ بالماضي؛ الدّلالةُ على استمرار الفعل فيما مضى وفي الحال وفي الاستقبال، وفي ذلك طمأنةٌ لرسول الله ﷺ، وتحذيرٌ للمنافقين.

المشيئة الصّادرةُ عن كمال العَظَمة لا يحول دونَها شيءٌ

بلاغة الالتفات في قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ التفاتٌ من الغَيْبَة إلى التّكلّم؛ وذلك أنّ الآية السّابقة كانت بأسلوب الغَيْبَة؛ ثمّ التفتَ في هذه الآية إلى التّكلّم بنون العَظَمة؛ لإبراز العناية، والاهتمامِ بالإراءَة.

إبراز العناية، والاهتمامِ بالإراءَة

دلالة حذف مفعول ﴿نَشَآءُ﴾:

حُذِف مفعولُ الفعل ﴿نَشَآءُ﴾ في قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ﴾؛ لدلالة سياق الكلام عليه، فتقديرُه: فلو نشاء إراءتَك إيّاهم لأريناكهم. ولمّا كانت الإراءةُ غيرَ محقَّقةِ الوقوع، ناسبَ ذلك حذفُ المفعولِ الذي يدلّ

دلالة السّياق عليه

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 35.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 101.

على عدم الثّبوت. وأيضًا: لأنّ الكلام في شأن المنافقين؛ فناسبَ حذف المفعول من باب التّهوين والتّقليل لهم.

دلالة اللّام الدّاخلةِ على الفعل ﴿لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾:

تعلّق الجواب بالشّرط

عبّر النّظمُ الجليل بـ (اللّام) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾، وهي اللّام الرّابطة لجواب (لو) بشرطها[1]، فتُظْهِرُ بذلك تعلّقَ الجوابِ بالشّرط، فرُؤيتُه ﷺ لهم متعلّقةٌ بمشيئته تعالى، وفي هذا دليلٌ على أنّه لا يقع شيءٌ إلّا بمشيئته سبحانه، ولا مانع لفعله. وممّا يُذْكَر في سِرّ دلالة اللّام: أنّ المنافقين لشِدّة جهلهم لا يتصوّرون أنّ سرائرهم كلّها معلومةٌ، مقدورٌ على العِلْم بما فيها؛ فأكّد ذلك باللّام للدّلالة على وقوع الرّؤية الكاشفة لرسول الله ﷺ لما يُخْفونَه في ضمائرهم[2].

دلالة التّعبير بالرّؤية في قوله: ﴿لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾:

الدّلالة على كمال عِلْمه سبحانه بالمنافقين

عبّر النّظمُ الجليل بالرّؤية في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ دون: (أطلعناك)؛ لتَعدُّد معناها؛ فيجوز أن تكون من الرّؤية بمعنى العِلم، أي: "عَلَّمناكَهُم، وعَرَّفْناكَهُم، ودَلَلْناكَ عليهم. تقول العربُ: سأريك ما أصنع؛ أي: سأُعْلِمُك، ومنه قوله تعالى: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النّساء: 105] أي: بِما أعْلَمَكَ"[3]. ويجوز أن تكون من الرّؤية البصريّة، بدلالة أنّها لم تنصب سوى مفعولين[4]. وعلى كِلا الدّلالتَين فإنّ التّعبير بالرّؤية يدلّ على كمال العِلْم بهم وقوّته، فهو عِلمٌ واقعٌ بالعِلْم والإدراك، وبالنّظر بالعين؛ وذلك لأنّ الرّؤية أعلى درجاتِ الإدراك، فهي أعلى من البصر والنّظر. ولأنّ الرّؤية تتميّز

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 101.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/ 174.

(3) ابن الأحنف، البستان في إعراب مشكلات القرآن: 3/ 85، وينظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 59.

(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 225.

باليقين؛ بخلاف: (أطلعناك)، فلا تؤدّي هذه المعاني؛ لأنّ مادة (طلع) في اللّغة تدلّ على الظّهور والبُروز، يقال: طلعتِ الشّمسُ طُلوعًا، إذا ظهرت، وهذا المعنى غيرُ مناسبٍ لسياق الحديث عن المنافقين، وهو مبنيٌّ على السَّتر؛ للحفاظ على لُحْمَة المجتمع.

سرُّ إسنادِ الرّؤية إلى ضمير التّعظيم:

خِداعُ المنافقين مفضوحٌ ومكشوفٌ أمامَ العَظمة الإلَهيّة

أسند النّظمُ الجليل فعلَ الرّؤية إلى ضمير التّعظيم في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ﴾؛ للدّلالة على أنّها ستكون رؤيةً تامّة، بحيثُ إنّها تكشف الغطاءَ عنهم[1]. فهي رؤيةٌ تُظْهِر المُشاهَدَ بلا شَكّ فيه، بحيثُ إنّك تقدِرُ على أن تصفَهم لغيرك[2]. وأيضًا لمّا كان المنافقون يبالغون في إخفاء ما يريدون، بيّن اللّه تعالى أنّ ذلك منهم لا وزن له؛ لأنّ الذي يُري الرَّسولَ ﷺ هو اللّه تعالى.

دلالة الفاء واللّام في ﴿فَلَعَرَفْتَهُم﴾:

معرفة رسول الله بالمنافقين مترتّبةٌ على الإراءة المؤكّدة

افتتح النّظمُ الجليل الجملةَ بالفاء العاطفة في قوله جلّ شأنه: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ﴾ المفيدةِ للتّرتيب والتّعقيب والسّببيّة[3]؛ للدّلالة على أنّ المعرفة مترتّبة على الإراءة، وأنّها واقعة عقبَها[4]. ويجوز أن تكون الفاء للتّفريع، والمراد: تفريع معرفته ﷺ على تعريف اللّه له، وبذلك تكون الفاء أفادت معنى التّرتيب، وتكون اللّام في قوله: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم﴾ دالّةً على تأكيد المعرفة وتحقّقها[5]، فكأنّه قال: ولو نشاء لعرفتهم، فتكون المعرفة غيرَ متأخّرةٍ عن التّعريف المُتحقّق بالإراءة، فتُفيد تأكيدَ التّعريف، أي: لو نشاء لعرّفناكَ بهم تعريفًا تُحَقّق معه المعرفةَ لا تتأخّر بعدَه[6].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 253.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/ 29.
(3) قباوة، المُفصّل، ص: 1800.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 253، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 101، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 225.
(5) الواحديّ، التّفسير البسيط: 20/ 261.
(6) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 59.

سِرّ التّعبير بالمعرفة دون العِلم:

المعرفة تُدرَك بتفكّر وتدبّر لآثار الشّيء؛ فتُنسب للإنسان ولا تُنسب إلى الله تعالى

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالمعرفة دونَ العِلم في قوله تعالى: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم﴾؛ لوجود فرق بينهما؛ فالعِلم: هو إدراك الشّيء على حقيقته، أو هو مَلَكة يُقْتدَر بها على إدراك الكلّيّات والجُزئيّات، ونقيضُ العِلم الجهلُ، ويفترق عن المعرفة في أنّها تُدْرَك بتفكّر وتدبّر لآثار الشّيء؛ لأنّها مأخوذةٌ من عرفان الدّار، أي: آثارها التي تُعْرَف بها، ويضادُّها الإنكارُ. ولمّا كانت المعرفة تُستعمَل في العِلم القاصر المُتوصَّلِ إليه بتدبّر آثارِه دونَ إدراك ذاته؛ امتنع استعمالُها في جانب المولى سبحانه؛ فتقول: (إنّ الله يعلم)، ولا تقول: (إنّ الله يعرف)؛ يُؤكّد هذا: أنّه لم يَرِد في القرآن الكريم إسنادُ المعرفة إليه سبحانه؛ إذ لا يجوز أن يكون عِلم الله تعالى بالأشياء من جهة الأثر والدّليل؛ إنّما عِلْمه يكون على التّفصيل. والنّاظر في آيات القرآن يجد ورودَ المعرفةِ لتمييز المعلوم من غيره بالتماس آثاره ودلائله، قال تعالى: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [البقرة: 273]، فالسّيماءُ علامةٌ يُتوَصّل بها إليهم؛ لذلك كان التّعبير بها مع المنافقين في قوله: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾؛ فعلامةُ المنافقين تُعْرَف في فحوى الكلام. وممّا يُؤكِّد الفرقَ بين العِلْم والمعرفة المغايرةُ بينهما في الآية؛ حيثُ أسنَد المعرفةَ إلى رسول الله، والعِلم إلى الله في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[1].

دلالة التّعبير بالماضي (عرفتهم):

تَحقُّقُ وقوعِ معرفته ﷺ بالمنافقين

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ عن المعرفة بالفعل الماضي دون المضارع في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ﴾؛ للدّلالة على تَحقّق المعرفةِ ووقوعِها بلا شكّ.

(1) محمد ياس خضر، دقائق الفروق اللغوية، ص: 189.

دلالة الباء في ﴿بِسِيمَٰهُمۡۚ﴾:

العلامات المميّزة لهم هي السّبب بإظهارهم

عبّر النّظمُ الجليل بحرف الجرّ (الباء) في قوله جلّ شأنه: ﴿فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ﴾، وهي هنا مستعملة للدّلالة على السّبب، أي: تعرفُهم "بسبب علاماتهم التي نجعلها عاليةً عليهم، غالبة لهم في إظهار ضمائرهم عليها، لا يقدرون على مدافعتها بوجه"[1]. ويجوز أن تكون للإلصاق، والمراد: أنّ علامة النّفاق لاصقةٌ بهم، لا تنفكّ عنهم، وإن حاولوا إخفاءَها.

سِرّ التّعبيرِ بقوله: ﴿فَلَعَرَفۡتَهُم﴾ بعد الإراءة التي يلزم منها التّعريف:

للإشارة إلى قوّة التّعريف وزيادتِه

جاء التّعبيرُ القرآنيُّ بالمعرفة في قوله: ﴿فَلَعَرَفۡتَهُم﴾ بعد الإراءَة التي يلزم منها التّعريفُ في قوله: ﴿لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ﴾؛ لزيادة فائدة، وهي أنّ التّعريف قد يُطلَق ولا تَلزمُ منه المعرفةُ، يقال: عرفتُه ولم يَعْرِف، وفهمتُه ولم يَفْهَم؛ فقال هنا: ﴿فَلَعَرَفۡتَهُم﴾ يعني: عَرّفناهم تعريفًا تعْرِفُهم به، وفي ذلك إشارةٌ إلى قوّة التّعريف[2].

سرّ إيثار التّعبير بالسّمة مفردةً دونَ العَلامة:

صفات المنافقين واحدة متوافقة متجانسة

آثرَ القرآنُ التّعبيرَ بالسِّمة مفردةً دونَ العلامة؛ لأنّها ضربٌ من العلامات مخصوصٌ، وهو ما يكون بالنّار في جسد حيوان، مثل سمات الإبل وما يجرى مجراها؛ قال تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ١٦﴾ [القلم: 16]؛ عبّر بالسّمة لوجود الأثرِ على أنفه، كما يُفعَل مع الإبل. ولمّا كان الأمر مع المنافقين وما يفعلونه له تأثيرٌ في المجتمع، عبّر بالسّمَة كأنّها علامة مخصوصة تظهر على وجوههم، كما قال تعالى في شأن الكافرين: ﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ﴾ [الرّحمن: 41][3]. وأفرد النّظم الجليل لفظَ السّمة في قوله جلّ شأنه: ﴿فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ﴾؛

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 253.
(2) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 17/ 467.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 82.

لأنّها اسمُ جنس جاء بصيغة الإفراد؛ للتّنبيه على أنّ علاماتِهم متّحدةُ الجنس وإن كانوا كثيرين؛ لأنّ مدلولَها واحدٌ وهو النّفاق[1].

سرّ التّعبيرِ بـ (سيماهم) دون (أسمائهم):

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بـ (سيماهم) في قوله: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ دونَ أن يقول: (فلعرفتهم بأسمائهم)؛ لأنّ القرآن يدعو إلى السّتر على العصاة لكي يتوبوا؛ لذلك لم يذكرهم القرآنُ بأسمائهم، سَترًا عليهم، وإبقاءً على قراباتهم المُخْلِصين من الفتن[2].

السّتر على المنافقين لإتاحة التّوبة لهم، وإبقاءً على قراباتهم من المؤمنين

دلالة الإضافة في (سيماهم):

أضاف النّظمُ الجليل السّمة إلى الضّمير في قوله جلّ شأنه: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾؛ وذلك للدّلالة على أنّ تلك العلامات خاصّةٌ بهم، تميّزهم عن سواهم، وذلك أنّه جعل في وجوههم سماتٍ تميّزهم[3]، والمعنى: "لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامةً، وهي السّمة"[4]. فلمّا كانت السّمات خاصّةً بهم، بحيثُ إنّها تكشفُهم وتميّزُهم عمّن سواهم، أضافها إليهم، وفي ذلك دلالةٌ على أنّ كلّ فريقٍ له سِمةٌ تميّزُه وتُضاف إليه.

للمنافقين علاماتٌ تميّزهم عمّن سواهم

سِرّ تقديمِ الرّؤيةِ على المعرفة:

قُدِّمت الرّؤيةُ على المعرفة في قوله تعالى: ﴿لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم﴾؛ لأنّ معرفة أحدٍ ما برؤيته بصرًا أبلغُ من معرفته بالصّفات والعلامات، فقولُ الشّاهدِ: هذا هو الذي شهِدتُ عليه، أبلغُ من معرفتِه إيّاه بصفاته؛ فلمّا كانت الرّؤية أبْلَغَ من العلامات والسّمات؛ قُدِّمَتِ الرّؤية عليها.

الرّؤية أبلغُ في المعرفة من الصّفات والعلامات

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 41.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/ 174.
(3) السّمعانيّ، تفسير السّمعانيّ: 5/ 183.
(4) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 5/ 15.

سِرّ ذِكْر المعرفة بالسِّمَة بعد المعرفة بالرّؤية:

الجمع بينهما لدوام فَضْح حيَلِ المنافقين

ذَكَرَ النّظمُ الجليل المعرفةَ بالسّمةِ بعد المعرفة بالرّؤية في قوله جلّ شأنه: ﴿لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾، مع أنّ المعرفة بالرّؤية أبلغُ من المعرفة بالسّمة، فكيف أكّد الأقوى بالأضعف؟ والجوابُ على ذلك: أنّ ذِكْر السّيماء جيءَ به للدّلالة على دوام المعرفة في المستقبل[1]، فلا يعتريها نسيانٌ أو اشتباه[2].

بلاغة العطف بالواو في قوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾:

تعليق الرّؤية بمشيئته لا ينفي تحقّقَ العِلم بهم عن لحن القول

عطف النّظمُ الجليل المعرفةَ بلحن القول في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ على الجملة المستأنفة في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ [محمّد ﷺ: 29] بالواو العاطفة؛ لأنّه لمّا علّق المعرفةَ بهم بمشيئته بالفعل الماضي بقوله: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم﴾، أتبعَهُ بما يُظْهِر كشفَ أمرِهم في المستقبل[3]. وفائدةُ هذا العطفِ: التّنبيهُ على أنّ تعليق المشيئة بـ (لو) قد يُفهَم منه عدمُ وقوعِها، فاحترسَ بالعطف على تحقّق تلك المعرفة بلحن القول، أي: "إن لم نُرِكَ إيّاهم بسيماهم، فَلَتَعْنّ معرفتُك بهم من لحن كلامِهم، بإلهامٍ يجعلُه الله في عِلم رسولِه ﷺ، فلا يخفى عليه شيءٌ من لحن كلامهم"[4].

دلالة (اللّام) في قوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾:

إعلامُ النّبيّ ﷺ بِمَكْنونهمُ الخبيثِ حقيقةٌ يُقْسَمُ عليها

عبّر النّظمُ الجليل باللّام الموطِّئة للقَسَم في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾، والقَسَم محذوفٌ، والتّقدير: ولتعرفنّهم والله[5]. أو: وبعزّتي وجلالي لَتَعْرِفنّهم. والغرضُ من حَذْف القَسَم

(1) البسيليّ، نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد: 3/ 531.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 41.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 253، ومحمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 13/ 233.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 121.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 59، والسمين الحلبي، الدّرّ المصون: 9/ 706.

والاكتفاءِ بجوابه الإيجازُ والاقتصاد في التّعبير. وممّا يُذْكَر في سرّ التّعبير باللّام في قوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾؛ إفادةُ التّأكيد على المعرفة لمن استبعدَ ذلك منهم، أو ممّن شاركهم في مرض القلب من غيرهم.

دلالة توكيد الفعل المضارع ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾:

المعرفة بأسرار القلوب ومكنونها لا تُعجِزُ علّامَ الغيوب

أكّد النّظمُ الجليل الفعلَ المضارع في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾؛ للرّدّ والإنكار على استبعاد مَن يستبعد تحقّقَ تلك المعرفةِ الكاشفةِ لأسرار القلوب، وجاء التّعبيرُ بصيغة المضارع للدّلالة على تجدّد المعرفة بحالهم، بحسب تجدّدِ أقوالهم، فهذه المعرفة مستمرة باستمرار ضمائرهم الخبيثة، وإسرارهم في لحن القول الصّادر منهم[1].

دلالة التّعبير بالظّرفيّة ﴿فِي﴾:

عبّر النّظمُ الجليل بحرف الجرّ ﴿فِي﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾، وهي هنا للظّرفيّة؛ وذلك لإفادة تحقّقِ المعرفة في وقت تلبّسهم بلحن القول. ويجوز أن تكون دالّة على السّببيّة، أي: تعرفهم بسبب لحن القول.

دلالةُ التّعبير بـ﴿لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾:

يحرّفون الكَلِمَ ويُخفون مقاصدَه، ولكنّها لا تخفى على ذي اللّبّ الحصيف

عبّر النّظمُ الجليل بالمركّب الإضافيّ ﴿لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾؛ لأنّه يدلّ على معنى القول، والوجهِ الخفيّ من القول، وهو أسلوبٌ من أساليب القول المعروفة، لكنّه منحرف عن سبيل الصّواب[2]، فإنّ المنافقين عَمَدوا إلى التّحدّث بينهم بما يدلّ على ما عندهم، وما قَرَّ في قلوبهم من غير تصريح به[3]، فيُميلون كلامَهم ليَفْطَن لهم أصحابُهم الذين عَهِدوا مُرادَهم، ويخفى على مَن

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 253.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 41.
(3) الواحديّ، التّفسير البسيط: 20/ 261.

لم يكن له عهدٌ بمُرادهم، فهو خطابٌ خفيّ يصحبُه حالٌ يُظْهِر المقصودَ من خطابه، ويعجز عن إخفائه على وجه التّمام[1]. ولأنّه يدلّ على ما يصدر منهم من معاني النّفاق، كقولهم: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأحزاب: 13]، وقولهم: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: 8]؛ فهذه معانٍ تدلُّ على النّفاق، وليشملَ الوجهَ الخفيَّ من لحن القول الذي يفهمه النّبيّ ﷺ، ولا يفهمُه غيرُه[2].

سرّ إسناد اللّحن إلى القول دون الفعل:

القـول وسيلـةُ التّواصل الأقرب والأعمّ بين أفراد المجتمع

أسند القرآنُ الكريم اللّحنَ إلى القول دون الفعل؛ لأنّ القول هو وسيلةُ التّواصل بين الأفراد في المجتمع على وجه العموم، وبين رسول الله ﷺ من جهة، والمنافقين من جهة أخرى، ولمّا كان هذا القولُ قولًا خاصًّا في بيان العلاقة بين الرّسول ﷺ وبين المنافقين، حاول المنافقون إيجادَ أساليبَ يظنّون أنّها تَخْفَى عليه في المُراوغة والمُخادعَة تصريحًا أو تلميحًا؛ فعبّر القرآنُ بما يفضح سرائرَهم بلَحْن القول؛ بخلاف الفعل فليس محلًّا لذلك؛ فكانوا يأتون بالأفعال من صلاة وصيام ونحوِ ذلك على وجهها دونَ خَلَلٍ فيها؛ لأنّهم أجبنُ النّاس في أن يُعَرّضوا أنفسَهم للنّقد من عموم المسلمين إذا أخَلّوا بظاهر الأفعال التّكليفيّة.

سرّ قَصْرِ معرفة المنافقين عليه ﷺ:

السَّترُ عليهم، وفتحُ باب التّوبة لهم حفاظا على نسيج المجتمع

النّاظر في أسلوب الآية القرآنيّة يجد أنّ الكلام موجّه إلى الرّسول ﷺ في قوله: ﴿لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ﴾ ﴿فَلَعَرَفْتَهُم﴾ ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾، فكلُّها موجّهةٌ للرّسول ﷺ دون المؤمنين؛ وذلك من باب السَّترِ عليهم، لعلّهم يتوبوا، ولمراعاة شعور أقاربهم من المؤمنين المُخْلِصين، وللحفاظ على لُحْمَة المجتمع من التّفرّق والتّنازع.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 254.
(2) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 17/ 467.

دلالة الإضمار في الآية عن الذين في قلوبهم مرض دون الإظهار:

الإضمارُ مناسبٌ لسلوك المنافقين الـبـاطـنـيّ، وللتّهوين من شأنهم

النّاظر في الآية بدءًا من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ﴾ يجد أنّ القرآن عبّر عن الذين فى قلوبهم مرض بضمير الغَيْبَة؛ وذلك من باب التّناسب مع سلوكهم؛ فأهلُ النّفاق لا يعيشون إلّا في الخفاء، ولا يكيدون للمسلمين إلّا بعد أن يُضْمِروا في قلوبهم الغِلّ والحِقد؛ فكان الإضمارُ مناسبًا لسلوكهم الباطنيّ، وللتّهوين من شأنهم؛ فليسوا أهلًا لأن يُصَرَّح بهم.

بلاغة الاحتراس:

يظهر في قوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ معنى الاحتراس، ممّا يقتضيه مفهومُ ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ﴾ من عدم وقوعِ المشيئة لإراءَته إيّاهم بنُعوتِهم، ويكون المعنى: فإن لم نُرِكَ إيّاهم بسيماهم، فَلَتَعْرِفَنّ معرفتُكَ بهم من لحن كلامِهم، بإلهامٍ يجعله الله في علم رسولِه ﷺ؛ فلا يخفى عليه شيءٌ من لحن كلامهم[1].

دلالة تصدير فاصلة الآية بالواو:

عِـلـم الـلـه لا نهاية لـه؛ فلا يُعجِزه كشفُ سرائرِ المسلمين

صُدِّرت فاصلةُ الآية بالواو في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾؛ لأنّها جملة مُستأنَفَةٌ سيقت تذييلًا للآية[2]، فإنّ ما ذكره تعالى من أمر المشيئة وتأكيد تَحَقُّقِ العِلم بحالهم وانكشافِه مؤكَّدٌ؛ لأنّ الله تعالى يعلم بأعمال عباده، لا يخفى منها شيءٌ عنه، فالعبارةُ حُكْمٌ عامٌّ، "وَبالجملة: الله المُطَّلِعُ بعموم أحوال عباده يَعْلَمُ منكم أعْمالَكُم ونيّاتِكم فيها، ومقاصدَكم عنها، فيُجازيكم على مقتضى علمه"[3]. ويجوز أن تكون الواو عاطفةً للدّلالة على أنّه سبحانه محيطٌ بالكلّ؛ فتكون الجملة معطوفة على ما

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 121.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 122.
(3) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة: 2/ 331.

تقديره: فالله يعلم أقوالَكم ويعلم أعمالَكم" على قيل من أوجه في تقدير الواو[1].

الغرض من التّذييل:

عِلمُ الله بما يصنع العبادُ وغدٌ ووعيدٌ، وتعليمٌ وتنبيه

ذيّل النّظمُ الجليل الآيةَ بقوله جلّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾، والمراد منه: تعليمُ عبادِه وإخبارُهم بأنّه يعلم ما يصنعون، كما أنّه يُشير إلى التّهديد والوعيد للعصاة، والتّبشيرِ والوعدِ للصّالحين، وفيه تنبيهٌ للمنافقين بأنّ الله تعالى يوشِكُ أن يفضح نفاقَهم[2]، كما أنّه تطمينٌ للمؤمنين بأنّ الله تعالى يعلم أعمالَهم، وأنّ حالهم ليس كحال المنافقين[3].

دلالةُ تقديمِ لفظِ الجلالة (الله) على المُسند الفعليّ:

عظَمةُ علمِ الله تدلُّ على شمول إحاطته

قَدَّم النّظمُ الجليل لفظَ الجلالة على المسند الفعليّ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾؛ وذلك لتأكيد الحُكم بإحالته إلى جملة اسميّة تدلّ على ثبوت المعنى، كما أفاد ذلك الدّلالةَ على تجدّد الحُكم بما دلّ عليه المسند الفعليّ، فجَمَعَ بين الثّبوت والتّجدّد في المعنى، فعِلْمُ الله تعالى ثابتٌ متجدّد في إظهار آثاره، من باب: أمور يُظهرُها ولا يُنشئها. وفي تقديم لفظ الجلالة التّنويهُ بعظَمة علمِه تعالى.

سرّ التّعبير بلفظ الجلالة دونَ لفظِ الرّبّ:

لفظُ الجلالة أوقعُ للمهابة في النّفوس، وهو الأنسب لزَجْر المنافقين عمّا يفعلونه

جاء التّعبيرُ القرآنيُّ بلفظ الجلالة (الله) في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ دون لفظِ الرّبوبيّة، بأن يقول: (ربّكم يَعْلَم أعمالَكم)؛ لأنّ لفظ الجلالة يدلّ على المهابة في القلوب، وهو المناسب لسياق القرآن في حديثه عن المنافقين؛ لزجرهم عمّا يفعلونه من لَحْنِ القول، بخلاف لفظ الرّبّ؛ فإنّه يأتي في مقام الإنعام والتّربية، وهذا غيرُ مراد في سياق الآية.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/ 175.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 122.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 101.

دلالة التّعبير بالعِلم مادّةً وصيغةً:

علمُ الله دائمٌ لا ينقطع

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالعِلْم بالفعل المضارع في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾، والمراد من العلم لازمُه، وهو المجازاة؛ وذلك لأنّ الجزاء على العمل يتعلّق بالعِلم به[1]، فالإخبارُ بالعِلم بالأعمال إنّما يُراد منه الإخبارُ عن المجازاة عليها. وجاء التّعبير عن ذلك بالفعل المضارع للدّلالة على أنّ علمه تعالى بأعمال النّاس دائمٌ لا ينقطع[2].

دلالة التّعبير بالعمل مادّةً وصيغةً:

جميع ما قصدَه النّاسُ سيحاسبون عليه

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالعمل بصيغة الجمع في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾؛ للدّلالة على أنّه تعالى سيُجازيهم على أعمالهم التي عملوها بقصدٍ ونيَّةٍ؛ لأنّ العمل ما عمله الإنسان قصدًا[3]، وفيه إشارةٌ إلى أنّ ما صدر من المنافقين من المُخادعة والمُراوغة كان بقصدٍ؛ للتّقليل من شأن رسول الله ﷺ والمؤمنين. وجاء التّعبيرُ بصيغة الجمع للدّلالة على أنّ علمه تعالى يشمل جميعَ الأعمال، ما كان منها قولًا وما كان فعلًا، وما كان جَليًّا وخَفيًّا[4].

دلالة الإضافة في قوله: ﴿أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾:

كلّ أعمالِ العِباد في حَيّز علمِه تعالى

أضاف النّظمُ الجليل لفظَ الأعمال إلى ضمير المُخاطَبين في قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾؛ للدّلالة على الأعمال التي يقوم بها العِبادُ، فهو يعلم أعمالَهم التي يعملونها[5]، فيكون هذا أبلغَ في مقاصد التّذييل من الوعد والوعيد والتّنبيه. فالعِلم بالأعمال التي تَخصُّهم أدعى لإيقاع العِظة والاعتبار لهم.

---

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 42، والشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 48.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 122.
(3) الرّاغب، المفردات: (عمل).
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 255.
(5) السّمعانيّ، تفسير السّمعانيّ: 5/ 184.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"